



ترجمات

التهديدات الروسية لفنلندا خطاب مقلق يعيد إنتاج أنماط مألوفة
الكرملين يستحضر دعايته المعادية لأوكرانيا
ويوظّف التاريخ أداةً في حرب نفسية*

بِقَلْمِ

إدوارد لوکاس

ترجمة: صفا مهدي عسكر

تحرير: د. عمار عباس الشاهين

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

مركز حمورابي

للبحوث والدراسات الإستراتيجية

2026



تأسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية عام 2008 بمدينة بابل (الحلة)، وحصل على شهادة التسجيل من دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة 1Z71874 بتاريخ 25/12/2012، بوصفه مركزاً علمياً يهتم بدراسة الموضوعات السياسية والمجتمعية، فضلاً عن الاهتمام بالقضايا والظواهر الراهنة والمحتملة في الشأن المحلي والإقليمي والدولي، ويعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجها، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

- لا يجوز إعادة نشر أي من هذه الأوراق البحثية إلا بموافقة المركز، وبالإمكان الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً.
- لا تعبّر الآراء الواردة في الورقة البحثية عن الاتجاهات التي يتبعها المركز وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية.

للتواصل

مركز حمورابي

للباحوث والدراسات الاستراتيجية

العراق - بغداد - الكرادة



+964 7810234002



hcrsiraq@yahoo.com



www.hcrsiraq.net



ترجمات

في البدء وُصفت فنلندا بأنها حليف للنازية ثم صُورت لاحقاً كأداة طيّعة بيد حلف شمال الأطلسي، أما الاتهام الأحدث فهو أنها دولة متهورة معادية لروسيا وتستحق رداً صارماً من الكرملين. من كان يظن أن فنلندا قد تصبح مادةً لهذا القدر من الجدل؟

وسط التركيز الدولي المكثف على حرب روسيا ضد أوكرانيا يسهل إغفال هدفٍ آخر بارز لغضب موسكو ذي النزعة الإمبراطورية، فمنذ سنوات تستخدم روسيا قراءات انتقائية ومشوّهة للتاريخ كسلاح سياسي لتشويه صورة جيرانها ونزع الشرعية عن خياراتهم السيادية، وإذا كان التصعيد الخطابي الأخير للكرمelin مؤشراً كافياً فإن فنلندا باتت اليوم ضمن دائرة الاستهداف. ويزداد القلق الفنلندي مبرراً في ضوء السوابق القريبة، إذ إن المقال التاريخي المطوق الذي نشره الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عام 2021 والذي أنكر فيه حق أوكرانيا في الدولة واستقلالها عن روسيا، شكّل تمهيداً أيديولوجياً لغزوها الشامل بعد أشهر قليلة.

قد تبدو هذه التفاصيل للوهلة الأولى بعيدة عن الاهتمام المعاصر من يهتم اليوم بتاريخ فنلندا المعقد خلال الحرب العالمية الثانية، أو بالوضع القانوني لدوقيه فنلندا الكبرى داخل الإمبراطورية القيصرية السابقة؟ غير أن التاريخ في السياق الروسي ليس حقاً معرفياً محايضاً بل أداة من أدوات السلطة، تُسخر لترسيخ هيمنة الكرملين داخلياً وتبرير السلوك العدوانى خارجياً وتقويض سيادة الدول الأخرى.

توظّف موسكو التاريخ بلغة مشحونة بالعاطفة، ويبّرر ذلك بوضوح فيما كتبه الرئيس الروسي السابق دميتري ميدفيديف على منصة «إكس» في الثاني من كانون الثاني حين وصف اعتراف البلاشفة باستقلال فنلندا عن روسيا عام 1917 بأنه "خطأ جسيم"، في إيحاء واضح بوجوب تصحيحه مضيفاً أن فنلندا ينبغي أن تدفع ثمن رهابها الخبيث من روسيا.

وكان ميدفيديف قد صُور في الخطاب الغربي، خلال فترة رئاسته بين عامي 2008 و2012 بوصفه شخصية إصلاحية ذات نزعة ليبرالية، إلا أنه بات اليوم في طليعة الأصوات الروسية الأكثر عداءً لفنلندا، وفي هجومه الأخير وجه سهام سخطه إلى الرئيس الفنلندي ألكسندر ستوب مشيراً إليه باستخفاف على أنه "شخص يُدعى ستوب" ويعُدّ ستوب من أكثر الشخصيات خبراً ودهاءً ممن شغلوا مناصب عليا في فنلندا فهو يتقن الإنجليزية بطلاقة ويتمتع بحضور شخصي أتاح له بناء علاقة غير متوقعة لكنها ذات فائدة سياسية مع الرئيس الأميركي دونالد ترامب، وعلى خلاف أجيال سابقة من القادة الفنلنديين يظهر ستوب بمظهر منفتح واجتماعي بل أقرب إلى الخطاب المباشر.

أما خطاب ستوب بمناسبة رأس السنة الجديدة والذي فجر هجوم ميدفيديف فقد بدا لمعظم المراقبين الدوليين هادئاً وخاليًا من الاستفزاز، ففي الشأن الأوكراني قال الرئيس الفنلندي بلهجته متحفظة إن "لا يمكن الجزم بأن روسيا مستعدة للسلام" محذراً من أن أي تسوية تتعلق بمستقبل أوكرانيا قد تتضمن عناصر "لا تنسجم مع إحساسنا بالعدالة"، كما أكد أن روسيا لن تُمنح فرصة لمواصلة عدوانها في أماكن أخرى مشدداً على أنه:

* Edward Lucas, Russia's Threats Against Finland Are Disturbingly Familiar Echoing its anti-Ukraine propaganda, the Kremlin is wielding history in a psychological war, foreign policy, January 9, 2026

"بالتعاون مع حلفائنا سنضمن ألا تهاجم روسيا أياً من جيرانها مرة أخرى". وأضاف ستوب "لقد تغيرت علاقاتنا مع روسيا على نحو دائم، أما الثابت فهو أن روسيا ستظل جارنا، تسعى فنلندا وأوروبا إلى علاقات وظيفية وسلمية مع روسيا غير أن ذلك يعتمد في نهاية المطاف على سلوك روسيا نفسها".

في الخطاب العام شديد الحساسية الذي يسود روسيا في عهد بوتين يُنظر حتى إلى النقد المعتمد على أنه إهانة مباشرة، وقد أثار ذلك لميدفیدیف استئناف حملته التي بدأها العام الماضي في مقال مطول بعنوان "العقيدة الفنلندية الجديدة الغباء والأكاذيب ونكران الجميل"، وقد كتب هذا المقال عقب زيارة قام بها إلى الحدود الروسية- الفنلندية في أيلول حيث زعم أن التحول الفنلندي نحو موقف أكثر تشديداً قد (دمّر) علاقات جيدة تراكمت على مدى عقود، واستدعي ميدفیدیف في نصه (الشراكة الدموية) لفنلندا مع ألمانيا النازية وأبرز مشاركتها في حصار لينينغراد الذي أودى بحياة أكثر من 800 ألف مدني، كما اتهم فنلندا بعد الحرب بنكران الجميل إزاء ما وصفه بالمعاملة (المتساهلة) التي لقيتها من الكرملين.

كتب ميدفیدیف أن انضمام فنلندا إلى حلف الناتو في عام 2023 ألغى بالنسبة لـ(السلطات الموالية للولايات المتحدة) في هلسنكي أي حق لها في الحصول على عفو سياسي من موسكو وأن فنلندا أصبحت الآن (تدوس بشكل مباشر وفظ) على الأسس التاريخية والقانونية لوجودها كدولة مستقلة، واعتبر أن روسيا بموجب ذلك مخولة لرفض المعاهدات التي اعترفت من خلالها باستقلال فنلندا وسيادتها وحدودها ورفع دعاوى تتعلق بالإبادة الجماعية والتحريض على الحرب والمطالبة بتعويضات من هلسنكي عن الأضرار التي لحقت بها خلال الحرب العالمية الثانية، وأضاف أن هذه الإجراءات قد تؤدي إلى انهيار الدولة الفنلندية بشكل نهائي.

في السياق الروسي لا يُعدّ هذا مجرد رأي شخصي لميدفیدیف بل جزء من حملة أوسع تهدف إلى إثارة المشاعر المعادية لفنلندا بين الروس وتخويف وإحباط الشعب финلندي، وتشهد القنوات التلفزيونية الحكومية الروسية بانتظام ظهور محللين ومقدمي برامج يهددون فنلندا بالغزو، كما تشمل الحملة هجمات فعلية على البنية التحتية البحرية كان آخرها في كانون الثاني الماضي حين أحرقت سفينة شحن تُدعى (فيتبورغ) وتبحر تحت علم الكاريبي الضرر بكل بيات يربط هلسنكي بعاصمة إستونيا تالين، وقد قامت وحدة من قوات حرس الحدود الفنلندي بمداهمة السفينة التي كانت تتحرك ومرسها يجري على قاع البحر واحتجازها، وتحقق السلطات الفنلندية في الحادث باعتباره تخريباً جنائياً معقداً ومحاولة تخريب جنائي معقد وتدخلاً خطيراً في شبكات الاتصالات.

ورغم هذه الحوادث الواقعية استجاب الفنلنديون بحزم، مع تقليل التهويل بشأن احتمال وقوع مواجهة عسكرية، وفي الوقت نفسه التأكيد على صمودهم واستعدادهم، حرصاً على ألا تُصور فنلندا كمنطقة صراع جيوسياسي ساخنة. أما المراقبون في السويد المجاورة فكانوا أقل تقليداً في دراسة حديثة صادرة عن وكالة الدفاع النفسي السويدية بين باتريك أوكسانين أحد أبرز الخبراء السويديين في أساليب روسيا القدرة سلسلة التشويه والاستفزاز التاريخي المتكرر الذي استهدفت به فنلندا عام 2025، وأوضح أن الحملة طويلة الأمد لتصوير فنلندا كمتعاونة مع النازيين تصاعدت خلال العام الماضي عبر "إجراءات قانونية منسقة وتدمير النصب التذكاري وتصريحات سياسية وتهديدات مباشرة. وتكرر هذه الاستراتيجية ما شاهدناه في حالة أوكرانيا حيث زعمت

الدعائية الحربية الروسية مراراً أن البلاد معقل للنازية الهاتلرية، ويشير أوكسانين إلى أن المحاكم المحلية والجماعات الناشطة في المناطق الروسية المجاورة استُخدمت لإضفاء غطاء من الشرعية والدعم الشعبي، وبناء أساس قانوني زائف لمطالب محتملة بالتعويض أو حتى على المدى الطويل لمطالبات إقليمية ضد فنلندا. كما يسلط أوكسانين الضوء على الدعم السياسي الكبير لهذه الحملة من الرئيس بوتين وما يليه في السلطة حيث يلعب مستشار بوتين لشؤون التاريخ وزير الثقافة الروسي السابق فلاديمير ميدينسكي دوراً محورياً، ويشارك أيضاً وزير الخارجية سيرجي لافروف الذي كتب مؤخراً مقدمة لعمل تاريخي زائف يجادل بعدم شرعية الدولة الليتوانية على مدى سبعة قرون، وعزز ثلاثة نواب روس كبار تصريحات ميدفينديف الأخيرة بزعم أن فنلندا دولة زائفة تُثير التوترات مع روسيا وقد تضطر موسكو إلى اتخاذ إجراءات صارمة ردًا على ذلك وهي اللغة ذاتها التي سبقت الهجوم الروسي على أوكرانيا، وتشمل هذه الحرب الكلامية أجهزة الأمن والاستخبارات والمحاكم ووزارة الخارجية والمدعين العامين والسياسيين والمسؤولين الحكوميين والماراكز البحثية والنشطاء الموالين للكرمليين ووسائل الإعلام وحسابات التواصل الاجتماعي المجهولة فضلاً عن دعم بعض الأصوات الغربية.

منذ نشر دراسة أوكسانين صعدت موسكو من لهجتها بشكل ملحوظ، فقد ظهرت على موقع وزارة الخارجية الروسية نسخة منقحة باللغة الإنجليزية لما يُعرف بالكتاب الأسود وهو سرد متحيز يركّز على انتشار ما يُسمى بـ"بارهاب روسيا" ليس في فنلندا فحسب بل أيضاً في السويد، ويتولى تحرير الكتاب يوهان بيكمان أكاديمي فنلندي مستقل من أصول سويدية سبق له أن دخل في صراعات متكررة مع السلطات في هلسنكي بسبب نشاطاته الموالية للكرمليين، وقد منح الجنسية الروسية الفخرية تقديرًا لدوره. ويتجنب المسؤولون الفنلنديون مناقشة هذه القضايا علناً خشية زيادة الاهتمام بحملات التشويه الروسية، إذ تقوم الثقافة الاستراتيجية في فنلندا -المتشكلة خلال عقود العياد المتواتر في الحرب الباردة- على التعامل بهدوء وبصوت منخفض مع الموضوعات الحساسة، ومع ذلك وصف هنريك مايناندر أحد أبرز المؤرخين المعاصرين في فنلندا وكتابه الجديد عن تاريخ هلسنكي المقرر صدوره باللغة الإنجليزية في شباط "الكتاب الأسود" بأنه مثال مشوه لكنه متوقع على ما يسميه سياسة التاريخ ستالينية في روسيا الحديثة.

وتأتي هذه المجمات ضمن استراتيجية أوسع تهدف إلى تحويل السرد التاريخي الوطني الروسي إلى أداة للسلطة حيث تُقدم صورة الاتحاد السوفيتي كقوة بطولية وبراء من كل خطأ، وتتجاهل هذه الرواية التحالف شبه الرسمي بين ستالين وهاتلر والانتهاكات التي ارتكبها الجيش السوفيتي في أوروبا الشرقية والوسطي فضلاً عن الغزو الكارثي وغير المبرر لفنلندا خلال حرب الشتاء (1939–1940)، وعلى الرغم من نجاح فنلندا في صد هذا الهجوم فقد حظيت بدعم محدود من الحلفاء واضطررت للتنازل عن أراضٍ واسعة في إطار اتفاق السلام مع السوفيت عام 1940، وعندما شنت ألمانيا النازية غزوها للاتحاد السوفيتي عام 1941 شنت فنلندا هجوماً لاستعادة أراضيها المفقودة لتكون طرفاً مشاركاً وليس حليفاً رسمياً لقوى المحور ثم قطعت علاقتها ببرلين عام 1944 ووقعت اتفاق سلام منفصلاً مع الاتحاد السوفيتي شمل تعويضات ثقيلة وتنازلات إقليمية وفرض حياد قسري. وترسم الرواية الروسية الثانية والمتشددة عن "الحرب الوطنية العظمى" اسم روسيا للحرب العالمية الثانية صورة

مبسطة حيث يتم تلخيص الأحداث على نحو منطقي مباشر، الاتحاد السوفيتي حارب النازيين وهزمهم ومن قاوم أو هاجم السوفيت لأي سبب يعتبر متعاوناً مدانًا، وتدعى روسيا المعاصرة الاحتكار الكامل لهذا الإرث متجاهلة دور غير الروس لا سيما الأوكرانيين والبيلاروسيين كضحايا ومقاتلين ضد النازية.

وفي هذا الإطار تطالب موسكو بامتنان دائم وغير مشروط وتشروعن اتخاذ إجراءات مضادة ضد الدول التي تفشل في إظهار هذا الامتنان، ويشير أوكسانين إلى أن الهدف هو إضفاء الشرعية على الطموحات الإمبراطورية الروسية الحديثة ووصف خصومها بالأخلاقية المذمومة، أي السيطرة على الماضي من أجل تشكيل المستقبل. وفيما يتعلق بتداعيات هذه السياسة من الواضح أن روسيا تعامل بجدية مع "حرب التاريخ" فهي قادرة على تصعيد خطابها من حيث النطاق والشدة، والانتقال بسلامة من ساحة المعلومات إلى المجال القانوني عبر رفع دعوى قضائية وإصدار أحكام ضد فنلندا بشأن أضرار الحرب وهو ما قد يستغل لاحقاً كأساس لفرض عقوبات، وتشمل الحملة أيضاً إجراءات رمزية وواقعية مثل إزالة النصب التذكاري الفنلندية من ساحات المعارك السابقة داخل الأراضي الروسية وتعطيل الفعاليات التذكاري، ومضايقة الدبلوماسيين - وهي ممارسات تم تسجيلها خلال العام الماضي.

وفي مستوى تصعيد لاحق يمكن تصور تنفيذ عمليات داخل الأراضي الفنلندية مثل التخريب المجهول للمتحف والنصب التذكاري أو أنشطة روسية تهدف إلى تصوير صعود عناصر يمينية متطرفة أو نازية داخل فنلندا، ورغم أن هذه الإجراءات قد تبدو رمزية أو هامشية فإنها تؤثر سلباً على الصورة الدولية للدولة المستهدفة وتزرع القلق والخوف والارتباك والاستقطاب في المجتمع ما يتبع لروسيا تحقيق مكاسب مزدوجة قبل أي مواجهة فعلية.